

# دعوة الخسرة

القرية والعصاة

لقد اضطرب قلب عمر للرعية تأخذها الضلالة ويردّها الزيف ،  
فحشد نفسه وبلاغته لها لعله يهديها ، وحارب ضلالة الناس باعتقاده  
السليم ، وثبت لديه أن عذاب هذه الأمة إنما يكون بالفتن بينهما في  
الدنيا ، وكره أن تبدأ الضلالة بالكلام في القدر والتكذيب به . وقد  
حدث عمرو بن مهاجر أنه سمع عمر بن عبدالعزيز يقول : قال رسول  
الله صلى الله عليه وسلم : ما هلكت أمة بعد إيمانها الا بشركها ، وما  
كان بدء شركها الا التكذيب بالقدر <sup>٣٤٧</sup>

ورأى عمر في أهل الكلام بالقدر أن يستتابوا ، فان تابوا خلى  
سبيلهم والا نفاهم . ولم يكن عمر مبتدع هذا الرأي ولكنه تأثر  
خطى عمر بن الخطاب الذي كان يقول : إنه لا عذر لأحد عبد الله

(٣٤٧) تاريخ دارياص ٨٣ ، ٩٢

بعد البيّنة بضلالة ركبها حسبها هدى ، ولا في هدى حسبه ضلالة  
فقد تبينت الامور وثبتت الحجية وانقطع العذر ، فمن رغب عن  
انباء النبوة وما جاء به الكتاب تقطعت من يده أسباب الهدى  
ولم يجد له عصمة ينجو بها من الردى ٣٤٨

وكان هناك بناحية سجستان وهرارة وخراسان فرقة من الخوارج  
تقول بتكفير الأمة وتبرأ من الحثين عثمان وعلي ، ويتولون الشيخين ،  
ويسبون ، ويستحلون المحارم ، يأخذون ببعض القرآن ولا  
يقولون بالسنة أصلاً ، وكانوا مع ذلك شجعاناً تقاتل نساؤهم على  
الحيل مضمرات كما يقاتل رجالهن .

وبناحية هرة واصطخر جماعة من الشراة يكفرون اصحاب  
المعاصي في الصغائر والكبائر ، ويرون رأى الحرورية في الخلفاء  
ولكنهم يستحلون الأموال ولا يسبون النساء ، ولا يخالفون في  
دين ولا سنة ، وكانت لهم دنيا واسعة ولهم خصب ومروءة ٣٤٩ .

واشتعلت في الشام فتنة غيلان الدمشقي فانه كان من أهل  
القدر والمتكلمين فيه وكان أهل القدر يقولون بارادة الانسان  
كما قال أهل الاعتزال من بعد - فقد عمر ذلك غلواً في القول ،  
ورأى أنه لو كان شيء لم يسبق في علم الله لكان له شركاء تنفذ  
مشيئتهم في الخلق دونه . ٣٥٠ وكان هنا وهناك وفي كل مكان  
بدلية واضطراب وزيف وضلالة ، فرأى عمر ان يجادل كل هؤلاء

(٣٤٨) ابن الجوزي ص ٦٨

(٣٤٩) التنبيه والرد ص ٥٦ ، ٥٧

(٣٥٠) ابن الجوزي ص ٦٩

ليهديهم سواء السبيل .

أما غيلان فأتى به عمر وحاجته فلزمته الحجة فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد جئتك خالاً فهديتني ، وأعمى فبصرتني ، وجاهلاً فعلمتني والله لا أتكلم في شيء من هذا الأمر ابداً . وأدرك عمر خبث غيلان فهدده وتوعده فقال : والله لئن بلغني انك تكلمت في شيء منه لأجعلنك نكالاً ! فلم يتكلم غيلان في شيء حتى مات عمر ، فلما مات سال فيه غيلان سيل الماء او سيل البحر ٣٥١ .  
وأما خارقة الحرورية بناحية الموصل فأخافت الطريق وأراقت الدماء ، فأرسل عمر فحملهم على مراكب البريد ، ثم أذن لاثنتين منهم ان يخاصماه ، فلم يدع لهما حجة حتى كسرها فقالا : نرجع على أن نسيح في الارض ، وأقسموا على ألا يخيفوا سبيلاً ولا يريقوا دماء ، فان فعلوا فقد أذنوا بالحرب ، فساح أحدهما فأراق الدماء وأخاف السبيل ، فبعث اليه عمر بسعيد الجرشي في اهل الكوفة فقتلوه وقتلوا اصحابه .

وكتب عمر الى بعض العاصية الذين خرجوا : من عبد الله عمر ابن عبدالعزيز أمير المؤمنين الى يحيى بن يحيى والعاصية الذين خرجوا ، سلام الله عليكم ، اما بعد ، فان الله عز وجل يقول : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي احسن ، ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين » .  
ثم جعل يلزمهم الحجة ثم قال : واني أقسم بالله لو كنتم ابكاراً من ولدي وتوليتهم عما دعوتكم اليه ولم تجيبوا للدفت دماءكم التمس

(٣٥١) التنبه والرد ص ١٥٨

بذلك وجه الله عز وجل والدار الآخرة ، فهذا النصح ان اجبتم ،  
وان استغششتكم فقديمًا استغش الناصحون ٣٥٢

وخرج في سنة مائة بسطام شوذب اليشكري في نواحي  
العراق ، وكان في ثمانين رجلاً ، فكتب عمر الى عبد الحميد بن عبد  
الرحمن ألا يحركهم حتى يسفكوا دمًا ويفسدوا في الارض ، فان  
فعلوا وجه اليهم رجلاً صليباً حازماً في جند ، فبعث عبد الحميد  
محمد بن جرير بن عبد الله البجلي في ألفين وأمر بما كتب عمر .

وارسل عمر الى بسطام كتاباً يسأله فيه عن سبب خروجه ،  
فبلغه الكتاب والبجلي بالجند في وقتٍ معاً ، وقام البجلي بأزائه لا  
يتحرك كما أمر ، وكان في كتاب عمر : بلغني انك خرجت غضباً  
لله ولرسوله ، ولست أولى بذلك مني ، فسلم إليّ أناظرك ! فان  
كان الحق بأيدينا دخلت فيما دخل فيه الناس ، وان كان في يدك  
نظرنا في أمرك . فرضي بسطام بما رأى عمر ورأى انه انصف  
وعدل فأرسل اليه برجلين يناظرانه أحدهما مولى حبشي لبني شيبان  
اسمه عاصم ، وآخر يشكري ، فقدموا على عمر بمخاضرة فدخلا اليه  
فناظرهم وناظراه .

وجاءه الخارجيان بسبب بني أمية ، وطلبوا منه ان  
يتبرأ منهم - ولم يكن السبب من شأن عمر - فجادلهم فيه  
حتى رضوا براهيه وأقروا أدبه ، وأراهم انه لا يستطيع أن يتبرأ  
من أهله ، وقد اكتفى بافقارهم وحمى العباد منهم ، ولم يرَ عمر  
أن يجري في المضمار بأكثر من ذلك ، فان في أهل بيته المحسن

(٣٥٢) التنبية والردص ١٧٤ - ابن الجوزي ص ٧٧

والمسيء ، والمصيب والمخطيء .

وجاء الخارجيان باقرار عدله وإنصافه ، ولكنها طلبا إليه أن  
يخلع يزيد بن عبد الملك من ولاية العهد ، وجاءهم عمر بأن يُنظروه  
لينظر في خلع يزيد من بعده إن حانت له الفرصة .

أما عاصم فشهد بأن عمر على الحق وأقام عنده ، وأما البشكري  
ف رأى أن يرجع ليرى رأي من بعثوه . وأما البجليّ قائد جند  
عمر فظل قائماً مقابل الخوارج لا يتعرض لهم ولا يتعرضون له .  
كلّ منهم ينتظر عودة الرسل من عند عمر . فتوفي عمر والأمر  
على ذلك . وأسرع بنو أمية إلى دسّ السمّ لعمر مخافة خلع  
يزيد ٣٥٣ .

### جند المسلمين

وهكذا انطلق الشرّ والهوى في بلاد المسلمين وأمرائهم .  
وكانت على الثغور والآفاق جيوشٌ تتعثّر وأخرى تتمزق وتذوب .  
فرأى عمر أن تمسك الأقواس عن سهامها حتى تقوى الدولة من  
داخلها ويتعلم الناس في البلاد التي فتحت حقيقة الاسلام ، وذلك  
خير من أن يتسع الحرق على الراقع .

حقاً إنه لم يشتهر عن عمر بن عبد العزيز انه على علم بفنّ الحرب ،  
ولم يسبق له ان اشترك في غزوات مع الجيش سوى ما قيل من  
انه سار مع سليمان مرة الى الصائفة ثم اختلفا فرجع عمر ومضى  
سليمان . ولقد قيل لذلك ان عمر أخطأ حين ردّ جيوشه من الثغور

(٣٥٣) ابن الاثير ج ٥ ص ٢٣

فعطلت الفتوح التي كانت توشك ان تخترق اوروبا من الشرق  
 والغرب وتلتقي في قلبها على أسلاء الروم والقوط وسائر الفرنجة ثم  
 يلفظ الشرك انفاسه في خضم الارض. لكن عمر جاء يخالف بني امية  
 في سياسة الفتوح . لأنه كان يشهد من بعد ان الفتوح لم تأت بما  
 يُرجى منها للدين إذ كان الغرض الأول من الفتح أن يُدعى  
 الناس الى السلم فيؤمنوا ، ولكن الفتوح ارتدت كلها تطلب الغنى  
 والثروة والسبايا والعبيد . وليت الأمر اقتصر على ذلك بل انها  
 ارتدت الى الضد بما كانت ، فقد صارت مريحة للأمرء والولاية  
 على البلدان ، لا يضعون الجزية عن يسلمون لئلا يُقفر بيت المال  
 كما يقولون ، فلم يعد الناس يرون من فائدة لهم اذا دخلوا في الاسلام .  
 وكانت طبقة القواد والجنود التي تتولى الفتح اليوم غير الطبقة  
 الاولى من الاصحاب والتابعين ، فلم تكن تدرك تمام الادراك  
 حماسة هؤلاء لدينهم الذي انساحوا من اجله لفتوح البلدان ، وكانت  
 الفتوحات العسكرية تثقل كاهل الفاتحين ، وما يأتي منها من غنائم  
 يوزع على السادة دون العبيد ، ولا يدخل الاسلام هذه الأرضين  
 الا قلقاً غير معروف . وان النطاق الضيق الحصين لأفضل  
 للاسلام نفسه من هذا النطاق الفسيح الذي اصبح كله محوطاً  
 بأضعف الثغور . هكذا رأى عمر او لعله ، فردّ الجند عن الثغور .  
 واهتدى بما رأى الى الصواب كله ، فان الأمر كان اكثر بما  
 يُظنّ ، ولم تكن البلاد التي تواجه الفتح بالهيئة السهلة حتى يضحى  
 أمام أسوارها بالجنود والمال ثم لا تُفتَح ، وإن فتحت فانها لا  
 تزيد المسلمين إلا عبثاً وهماً ثقيلاً .

ومضى عمر في رأيه فردّ من فورهِ جند المسلمين عن الآفاق إلا ما كان في معركة يخوضها أو على ثغر يخاف عليه<sup>٣٥٤</sup>. وكان اول ما خيف عليه جندُ مسلمة بن عبد الملك، وكان قد حاصر القسطنطينية في ايام سليمان أشد حصار فرضه العرب عليها وتوالت فيه امدادات البر والبحر، ونصب المنجنيق، ورَمَى العربُ الرومَ بالنقط وأسرع أسطول مصر للنجدة، وكادت القسطنطينية تسلم لولا ان الامبراطور هـ ليو الايصوري، السوريّ الأصل وفق في انقاذ المدينة من مسلمة.

ثم استعان الرومُ والبلغار بالجماعة والأوبئة وأهوال البرد فزادت بلية المسلمين. ومات سليمان بن عبد الملك حين ذلك فلم يثبط موته من عزيمة أخيه مسلمة، وظل يحاصر المدينة وجيشه يذوب ويهلك، فأرسل اليه عمر يأمره بالقفول بمن بقي معه مخافة هلاك الجند كافة، فصدع مسلمة بالأمر وقفل في معونة من الخيل والطعام من قرى الناس فأنت على البقية الباقية معه وهو قافل عاصفة هوجاء<sup>٣٥٥</sup>. ثم أمر عمر جند طرندة بالقفول عنها الى ملطية<sup>٢٥٦</sup>.

أما الحرب في اقصى الشرق وأقصى الغرب فقد استمرت في نطاق ضيق، وقد ظل السمع بن مالك الخولاني يجارب في الاندلس

(٣٥٤) الفخري في الآداب السلطانية ص ١٧٦

(٣٥٥) تاريخ العرب المطول ص ٢٦٧

(٣٥٦) طرندة بلدة من ملطية على ثلاث مراحل داخلية في بلاد الروم -

النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٤٢

حتى استولى على « سبتمانيا » ثم نزل « اربونة » التي صارت حصناً منيعاً  
للغرب فيما بعد وصارت دار صناعة ومستودعاً للمؤن والمعدات ٣٥٧  
وقاتل حاتم بن النعمان الباهلي عن أذربيجان وطرده عنها المغيرين ٣٥٨ .

### بدعة معاوية

وكانت سرت في البلدان بدعة قد وُقِّحَتْ فَكشفت عن وجهها  
ثم سارت ، سارت تطأ كل المنابر وتصرخ في كل الآذان ، ولم  
تستح فصعدت في مسجد رسول الله وبين أهله وعلى منبره ، كان  
ابتدعها معاوية بن أبي سفيان ، وأصدر أمره الى الولاة ان يجعلوها  
تقليدا في خطب الجماعة ، وظن معاوية أنه ما يزال يدق بها الآذان  
ويقذف بها في الصدور حتى تميل اليه .

وأراد معاوية أن يشيد ملكه ويقرر في انفس الناس أن بني  
هاشم لا حظ لهم في هذا الامر ، وأن سيدهم الذي به يصلون  
وبفخره يفخرون هذا حاله وهذا مقداره فيكون من ينتمي اليه  
ويَدِلُّ به عن الأمر أبعد ، وعن الوصول اليه أشحط وأنزح ٣٥٩ .  
وظن معاوية أن الناس اذا كرهوا وجه السوء في بدأة الرؤية  
فانه حين يعود ويشمل ويتكرر تذهب عنه الوحشة ويتوارى منه  
القبح ، وظن معاوية انها ستكون غداً عادة مألوفة وسنة شريفة  
فاذا غابت عن الناس يوما اشتاقوا لها وحنوا اليها .  
وأخطأ معاوية الرأي وجاوز الحلم الذي قالوا إنه وُسِمَ به ،

( ٣٥٧ ) تاريخ العرب المطول ص ٥٩٥

( ٣٥٨ ) حجة الاسلام ج ١ ص ١٧٦

( ٣٥٩ ) خطط الشام ج ١ ص ١٥٥ عن ابي الحديد .

وعادت البدعة بغير ما ظنّ ورأى ، فانها كانت تحدث في نفوس الناس وجة غيظ واستغفارة ندم يفتن لها الخطيب الفطين فيعثر ويتلثم ، وتغيب عن غير الفطن فتنتطق اللعنة عليه جارفة صارخة من القلوب .

وقدم معاوية الخطبة على صلاة الجمعة لأن الناس كانوا يكرهون سماع اللعن فكانوا اذا أدّوا الصلاة خرجوا من المسجد ، فألزمهم بتقديم الخطبة سماع المسبّة ، ولكنهم كانوا اذا فرغوا من سماع الخطبة اجتمعوا - ولا سيما الطالبيون - بعد كل صلاة وصبّوا لعناتهم على بني أمية جميعاً .

وخاض خطباء البلدان في دم البدعة فسبّوا علي بن أبي طالب على المنابر بأمر الأمير ، وجاوز خطباء بني أمية حدّ النهية والمروءة في الجهر بها ، ونطق بها عبد العزيز بن مروان فيمن نطق على منبر المسجد الجامع بفسطاط مصر ، ولكنه كان فطنا فقلق ورجف وتعثر وتلثم كما همّ بها فأحسّ القلوب تغضب ورأى الوجوه تشيح وسمع الأفواه تزفر ، ولكنه كان تقليداً مرسوماً ، ولم ينهه احدٌ عنه ، ولو وجد من يكفه لكفّ أو لعنه !

وقد قال عمر بن عبد العزيز : كان أبي اذا خطب فنال من علي رضي الله عنه تلجلج ، فقلت : يا أبت إنك تمضي في خطبتك فاذا أتيت علي ذكر علي عرفتُ منك تقصيراً ! قال : أوفطنت الى ذلك ؟ قلت : نعم ، فقال :

يا بني ، ان الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا عنا الى اولاده .

ولكن عمر بن عبد العزيز لم يتعظ بما فعل أبوه ، وغلبه الصبا والنسيان ، فحين عاد الى المدينة يتعلم خاض في البدعة ونزع إليها منازع أهله ، ولم يكن يعرف في نفسه حباً لعلي بن أبي طالب حتى دله عليه راهب قريش .

قال عمر : كنت بالمدينة أتعلم العلم ، وكنت ألزم عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود فبلغه عني شيء من ذلك فأثبته يوماً وهو يصلي فأطال الصلاة ، فقعدت أنتظر فراغه ، فلما فرغ من صلاته التفت إليّ فقال لي : متى علمت ان الله غضب على اهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم ؟ قلت : لم اسمع ذلك ، قال : فما الذي بلغني عنك في علي ؟ فقلت : معذرة الى الله واليك ، وتركت ما كنت عليه ! ٣٦٠ .

وكان نشأ عن فتنة عثمان وفتنة يزيد أن سب بعض الناس عثمان مع تورع السلف الناجين عن سبّه ، ومدح بعضهم يزيد بن معاوية مع اجماع الناس على ربه بالخطأ ، قد اختلف الناس هكذا ، ولم يكن لهم أن يختلفوا في الرجلين هذا الاختلاف حتى لو كانت اختلافهم للتعصب والعناد ، فالحلال بين والحرام بين ، ولكن الناس في الأرض عشاق ضلالة وأنصار خلاف .

وقد جيء عمر برجل سب عثمان فقال : لم سببته ؟ قال الرجل : أبغضته ! فقال له عمر : أو كلما أبغضت رجلاً سببته ؟ ثم ضربه

---

(٣٦٠) ذكر الحضري في تاريخه ج ٢ ص ١٨٤ ان ذلك حدث من عمر وهو في امرة المدينة وهو وهم من الحضري ترده شهادة عمر نفسه كما ذكرنا - ابن الاثير ج ٥ ص ٢٠

ثلاثين سوطاً . ثم سمع رجلاً يتشدد ويقول : أمير المؤمنين يزيد بن معاوية فضربه عشرين سوطاً .

### بدعة الناس

وأثرت بدعة معاوية في الناس فابتدعوا سب الخلفاء أو بعضهم . وصار سبّ الناس بعضهم بعضاً عادة . وكما سبّت امية علياً سبّ الطالبيون بني امية ، وحيث هانت مقادير الرجال فقد صار السب لمن دون العظماء أهون وأسهل ، وقد جهد عمر في ان يمنع الناس عن عادة السب حتى ان الرجل كان يأتيه مظلوماً فيشكو له ظلمه فيهمّ ان يقضي له فاذا سبّ خصمه لم يقض . وتركه ومظلمته . إنه كان يعتقد ان السبّ ينتقص الحق ، ولقد مات الحجاج وهو يقول : اللهم اغفر لي فان الناس يزعمون انك لا تفعل ، فنفسها عليه عمر وظنها منجاة له وأمسك دونه . وحين دخل عليه رياح بن عبيدة وذكر عمر الحجاج شتمه رياح ووقع فيه ، فقال له عمر : مهلاً يا رياح ، إنه بلغني ان الرجل ليُظلم فلا يزال المظلوم يشتم الظالم ويتنقصه حتى يستوفي حقه ويكون للظالم الفضل عليه . ولما استوى عمر خليفة رأى ان يحو البدعة ويدفع الناس عن سفاسف الأمور ، فكان أول ما أمر به ان منع الناس عن سب علي في الخطبة على منابر البلدان ٣٦١ . وأثبت عمر في مكان السبّ قوله تعالى : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ،

(٣٦١) الفخري ص ١٧٦ - التنبيه والردص ٥٢ - النجوم الزاهرة

ج ٦ ص ١٣٤

وكتب بذلك إلى الأمصار .

ولما أبطل سبّ عليّ أقبل عليه كثير عزّة ينشده ويقول :  
وليتَ فلم تشتم علياً ولم تحف برياً ولم تتبع مقالة مجرم  
تكلمتَ بالحق المبين وانما تبين آيات الهدى بالتكلم  
وصدقت معروف الذي قلت بالذي فعلت فأضحى راضياً كلّ مسلم  
فلما أتم كثير عزّة إنشاده قال عمر : أفلحنا اذن ! ٣٦٢  
وكان الخلفاء يغفلون في العقوبة لمن يسبّ أحداً لا يرضون  
سبه ، ولم يكن عمر يرى هذا التجاوز والغلو في عقوبة السبّ وان  
كان يكرهه . وكان يرى خيراً رادعاً للسبّ أن يعلم الناس الدين  
ويبصروا به حتى يرتدعوا من انفسهم ويكون الخلفاء لهم في ذلك  
قدوة ، فلما صارت له الخلافة جعل من نفسه خيراً قدوة فامتنع عنه  
حتى لمن يستحق أن يسبّ وحمل الناس على ما رآه . وكذلك لم  
ير في السبّ قتلاً كما فعل الوليد ، وقد كتب اليه عبد الحميد بن  
عبد الرحمن صاحب العراق يقول له : إن رجلاً شتمك فأردت أن  
أقتله ، فكتب اليه : لو قتلتَه لأقدتكَ به !

وغدير رجال من القصاص السنّة التي كان الناس عليها ،  
وأحدثوا من الصلاة على خلفائهم وأمرائهم عدل ما يصلون على  
النبي وآله والمؤمنين ، فكتب عمر الى أمراء الاجناد يقول فيما قاله :  
إن رجالاً من القصاص قد أحدثوا صلاةً على خلفائهم وأمرائهم

(٣٦٢) مسالك الابصار ج ١ ص ٣٥٣ - ابن الاثير ج ٥ ص ٢٠

عدل ما يصلون على النبي وعلى المؤمنين ، فاذا أتاك كتابي هذا  
فردوا قصاصكم فليصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، وليكن  
فيه إطناب دعائهم وصلاتهم ، ثم ليصلوا على المؤمنين والمؤمنات  
وليستنصروا الله ، ولتكن مسألتهم عامة للمسلمين ، وليدعوا  
ما سوى ذلك ٣٦٣

### شيعة علي

وكان عمر بن عبد العزيز في سياسته بين الحفاظ على أهله  
وسلطانهم ، وبين ترضية بني هاشم ومسح جروحهم وآلامهم .  
وقد راودته فكرة خلع يزيد بن عبد الملك من ولاية العهد ثم زال  
عنها ، ولم يسمح لأحد من كبار أهل البيت أن ينزل معه دمشق  
لئلا يعرف فضله ، فسرتحه سراحاً جميلاً . قد بقي عمر على عرقه  
الأموي . وقد حدث فيما كان يرى في مناهه عن الخلاف بين عليّ  
ومعاوية بأن علياً 'قضي له بالحق وان معاوية 'غفر له ، وقال عمر  
ذلك عن رؤيا رآها ولم يقله عن رأي ارتآه ٣٦٤

وكانت سنة الأموية الا ينزل معهم بالشام أحد من أهل  
البيت لما كان هؤلاء من الفضل والعلم ومحبة الناس ، وقد سار علي  
هذه السنة عمر لم يفارقها إما مخافة أهله وأما مخافة عليهم ، وقد  
قالوا انه لما قدم عليه عبد الله بن حسن كرهه عمر مكانه بالشام وعرف  
سنته وعقله ولسانه وفضله ، فلم يكن شيء أحب إليه من ان لا

(٣٦٣) ابن عبد الحكم ص ٩٠ وهو مذهب عمر كما يقول ابن قيم  
الجوزية - انظر جلاء الافهام لابن قيم .  
(٣٦٤) ابن الجوزي ص ٢٤٨

يراه احد من أهل الشام ، فقال له : اني اخاف عليك طواعين  
 الشام - وكانت الشام كثيرة الطواعين - وانك لم يغنم اهلك خيراً  
 منك فالحق بهم فان حوائجك ستتبعك ! فكان ظاهر كلام عمر  
 حسناً مشكوراً ، وباطنه أجود التدبير في تسريحه سرا حياً جليلاً<sup>٣٦٥</sup>  
 ولكن عمر مع سياسته هذه جهد في مداواة جراح بني  
 هاشم ما وسعته المداواة ، وحامسى عنهم كثيراً ، وكان ذلك منه  
 قديماً ، ولكنه فشا وكثر حين صار خليفة . وقد كان سليمان بن  
 عبد الملك وقّع على كتاب من زيد بن حسن الى الوليد يخضع فيه  
 سليمان من ولاية العهد ويبايع لعبد العزيز بن الوليد ، فأمر سليمان  
 ابا بكر بن حزم واليه على المدينة ان يضرب زيداً مائة سوط .  
 فطلب عمر من الرسول ان يترث في السفر حتى يكلم الخليفة  
 ويستطيب نفسه لعلها تطيب فيعفو عن زيد . وما لبث سليمان  
 ان مات ولم يذهب الرسول الى المدينة وافضى الامر الى عمر فدعا  
 من فوره بالكتاب فحرقه حين عاد من جنازة سليمان<sup>٣٦٦</sup>  
 ولم يكن بنو امية قد اکتفوا بسب علي ، بل انهم حرّموا  
 ان يذكر اسمه بين أيديهم . وكان زريق مولى علي بن ابي طالب  
 قد حفظ القرآن والفرائض ولكنه لم يرزق شيئاً من بيت المال ،  
 فوفد على عمر فقال : يا امير المؤمنين ، اني رجل من اهل المدينة  
 وقد حفظت القرآن والفرائض ، وليس لي عطاء في الديوان ،  
 فقال عمر : ولم يرحمك الله ؟ من اي الناس انت ؟

( ٣٦٥ ) ثمار القلوب ص ٣٥ :

( ٣٦٦ ) ابن عبد الحكم ص ١٢٢

قال زريق : رجلٌ من موالي بني هاشم ، فقال عمر : مولى من ؟ فسكت زريق وهمّ واحد من الناس ان يجيب ، فقال عمر لزريق : اليك اسألك ! وصاح به : اتكتمني من انت ؟ فقال زريق بصوت خافت كأنه نجوى : انا مولى علي بن ابي طالب - قد خاف ان يجهر - فقال عمر رافعاً صوته : وأنا مولى علي ! أتكتمني ولاء علي ؟ حدثني سعيد بن المسيب عن سعد بن ابي وقاص ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : من كنت مولاه فعليّ مولاه . وقال عمر بن مورق : كنت بالشام وعمر بن عبد العزيز يعطي الناس فتقدمت اليه فقال لي : من انت ؟ قلت : من قريش ، قال : من أي قريش ؟ قلت : من بني هاشم ، قال : من أيهم ؟ فسكت ، فقال : من أي بني هاشم ؟ قلت : مولى علي بن ابي طالب ، فوضع يده على صدره وقال : أيا مولى علي بن ابي طالب ، حدثني عدة أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من كنت مولاه فعليّ مولاه ! ثم قال : يا مزاحم ، كم تعطني أمثاله ؟ قال مزاحم : مائة درهم او مائتين ، فقال : اعطه خمسين ديناراً لولائه لعلي بن ابي طالب عليه السلام ، ثم قال له عمر : الحق ببلدك فسيأتيك مثل نظرائك ٢٦٧



وكان لون البطولة قد تغير فصار الرجل يفخر بما سفك من دم اخوانه في وقائع المسلمين ، وكان الرجل قديماً يفخر بغزواته للمشركين وفتح البلدان . ثم اختلط الامر فلم يعد هناك من

(٣٦٧) ابن الجوزي ص ١٥ ، ١٦

يفرق بين غازي أعداءه في الثغور وباطش بأهله في بلادهم ودورهم .  
 هذا كان إثم بني أمية ، ولا محيص من ان يتحملوه . ولم يكن  
 عمر يرى رأيهم في أبطال الحروب وشجعان القتال ، وإنما كان  
 يرى البطولة في مثل غزوات النبي وحروب الخلفاء الراشدين .  
 وقد جاءه يوماً شيخٌ وجعل يعدد له غزواته بدير الجماجم وغيره  
 مع مروان في مصر ، وجعل يفخر بعمله فيها ، فقام غلام من  
 الأنصار - وكان حاضراً - فذكر انه ابن رجل شهيد بيعة العقبة  
 وشهد بدرًا وأحداً ، فقال عمر : هذه المكارم لا ما تعدّه أيها  
 الشيخ منذ اليوم ، وقضى حاجة الفتى دون حاجة الشيخ <sup>٣٦٨</sup>

•  
 بن عمر بن عبد العزيز ما كان يسره إلا يختلف آل محمد في  
 آرائهم وفقههم ، فقد رأى من وراء الخلاف في الرأي والفقهاء خيراً ،  
 ولو لم يختلفوا فيما بينهم لسكانت الامور كلها عزائم ولم تكن لهم  
 رخصة تخفف عنهم . أما ما عدا ذلك فقد بالغ عمر في اطفاء الفتن  
 بين الناس . وقد سئل عما يقوله فيما شجر بين الصدر الاول وعن  
 قتال أهل صفين فقال : تلك دماء طهر الله يدي منها ، أفلا  
 أطهر منها لساني ؟ مثل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 مثل العيون ، ودواء العيون ترك مسها <sup>٣٦٩</sup> .

(٣٦٨) دير الجماجم بظاهر الكوفة على سبعة فراسخ منها على طرف النهر  
 للسالك إلى البصرة ، والشيخ يشير إلى اشتراكه في الواقعة التي كانت بين الحجاج  
 الثقفي وعبد الرحمن بن الأشعث وقتل فيها الفراء - معجم البلدان ج ٤ ص

١٣١

(٣٦٩) الانصاف ص ٦٠ - الواثق ج ٤ ص ٣٢٠

وهكذا مضى عمر يؤلف بين الأحزاب ويطفىء ثائرة  
الشيعية والعاوية ، ويؤدب الخوارج ، ثم اخذ يبيت  
عصبية الجاهلية التي استيقظت بين اليمنية والمضرية ٣٧٠ .

وفي ظل هذه السكينة التي نزلت القلوب في مدته بدأت دعوة  
بني العباس ، فوجده محمد بن علي بن عباس دعائه إلى الآفاق ٣٧١ .

### قصة فداءك

وفدك قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، وفيها  
عين فوارة ونخل كثيرة ، افاءها الله على رسوله في سنة سبع صلحاً ،  
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما نزل خيبر وفتح حصونها ولم  
يبق الا الثلث ، أو كان حاز كل شيء إلا حصنين يقال لهما الوطيح  
والسلام ، فلما أيقنوا بالهلكة ٣٧٢ واشتد الحصار راسلوا النبي  
يسألونه أن ينزلهم على الجلاء وحقن الدماء ، وفعل ، وبلغ ذلك  
أهل فدك فأرسلوا إلى النبي أن يصالحهم على النصف من ثمارهم  
وأموالهم ، فأجابهم الى ذلك ، وبعث إليهم محبصة بن مسعود  
فنزّلوا على ما نزل عليه أهل خيبر ، على أن يصونهم ويحقن دماءهم ،  
فأقرهم رسول الله على مثل معاملة أهل خيبر ٣٧٣ ، وقسم رسول  
الله أرض بني النضير وأرض بني قريظة ولم يقسم فدك ٣٧٤

(٣٧٠) المرشد ج ٤ ص ١٢٨

(٣٧١) ابن الأثير ج ٥ ص ٢٥

(٣٧٢) الخراج للقرشي ص ٤٣

(٣٧٣) الخراج لابن يوسف ص ٥١

(٣٧٤) الخراج للقرشي ص ٤١

وما كانت فدك مما لم يوجف عليه بخيل ولا ركب ، فقد  
صارت خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ينفق ما يأتيه منها  
على أهله ثم ينفق ما تبقى في أبناء السبيل .

ثم قيل ان فاطمة الزهراء سألتها أباها فأبى وقيل بل رضي  
فأعطاها ، فلما قبض صلى الله عليه وسلم اختلف على فدك رأي فاطمة  
ورأي ابي بكر ، ولعل ابا بكر ابقاها بيده حتى اذا احتاج اليها  
المسلمون - وكانوا في مبدأ أمرهم وضيق ذات ايديهم - وجد ما  
يعينه . ومع ان ذلك العمل من ابي بكر لم يرض فاطمة فقد  
صارت فدك في ايدي الخلفاء يتولون امرها ٣٧٥ .

وقد أدى اجتهاد عمر بن الخطاب لما ولي الخلافة وفتحت  
الفتوح واتسعت على المسلمين أن يردوها إلى ورثة الرسول فكانت  
علي والعباس بن عبد المطلب يتنازعان فيها ، وكانا يتخاصمان إلى  
عمر فيأبى أن يحكم بينهما ويقول : أنتم أعرف بشأنكما .

ثم صارت فدك الى مروان بن الحكم قد وهبها له معاوية ، ثم  
وهبها مروان لولديه عبد الملك وعبد العزيز ، ثم صارت اثلاثاً بين  
عمر بن عبد العزيز والوليد وسليمان ، فلما ولي الوليد أعطى نصيبه  
منها لعمر . فلما ولي عمر الخلافة كتب الى عامله بالمدينة يأمره برد  
فدك الى ولد فاطمة عليها السلام ، فكانت في ايديهم في مدة عمر  
ابن عبد العزيز . . . ثم صارت تنتقل منهم واليهم كما شاء الولاية ٢٧٦

(٣٧٥) فاطمة الزهراء والفاطميون ص ٥٨ نقلا عن شرح ابي الحديد على

نهج البلاغة - ابن الجوزي ص ١٠٩ ، ١١٠

(٣٧٦) معجم البلدان ج ٦ ص ٣٤٣

وقيل لم يردها الى والد فاطمة وانما ردها الى بيت المال ، قال عمر :  
وما كان لي مال أحب إلي منها ! وانا أشهدكم اني قد رددتها الى ما  
كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>٣٧٧</sup> وأبي بكر  
وعمر وعثمان ثم كتب الى والي المدينة : فاقبضها وولتها رجلاً يقوم  
فيها بالحق ، وسلام عليك<sup>٣٧٨</sup>

### علوم الدين

كان عمر يفسر غريب القرآن ويروي الحديث ويتفقه ، ويعنى  
بما تعلق من الفقه بالزهادة والعدل والنصح للناس ، ثم في شتى  
الأخبار والعبادات . وقد كتب الى ابي بكر بن حزم ان يجمع  
الحديث ويكتبه مخافة ان يدرس العلم ويذهب العلماء ، كما كتب  
الى اهل الآفاق ان ينظروا الى الحديث ويجمعوه . وحمل علم القرآن  
والفقه في عهده الى أقصى الشرق وأقصى الغرب ، وكانت اول نهضة  
بمغرب افريقية بين البربر المسلمين . ولم يهتم أحد من خلفاء بني أمية  
بالتشريع والفقه كما اهتم بها عمر . وقد كان رقي الفقه والنشريع  
قبل عمر في حلقات الدروس المستقلة عن الخلفاء<sup>٣٧٩</sup>

ورأى عمر العلم الحق ما دعا الى القناعة وصد صاحبها عن الطمع  
وكان يقول : تعلموا العلم فانه زين لاغني وعون للفقير ، لا اقول  
انه يطلب به ولكنه يدعو الى القناعة . ولم ير احداً في غنى عن العلم  
فكان يقول : إن استطعت فكن عالماً ، فان لم تستطع فكن

(٣٧٧) العقد القريدي ج ٤ ص ٣٥ ؛

(٣٧٨) ابن الجوزي ص ١١٠

(٣٧٩) فجر الاسلام ص ٢٢١ - ٢٤٨

متعلماً ، فان لم تستطع فاحببهم ، فان لم تستطع فلا تبغضهم .<sup>٣٨٠</sup>  
واول امره كان يدرس شريف العلم : هذا الذي هو حول  
القرآن والحديث والفقه . ثم ادرك انه على اضطرار لئلا يتعم  
اكثر مما تعلم . لم يكن يدري غير هذا العلم الشريف بين جدران  
المساجد والمجالس حيث ينقطع عن جمهور الناس ، فلما صار والياً  
وخليفة عرف ان ذلك العلم لا يكفي ، وعلم ان مصاحبة سرة  
الناس لا تغني عن رعايتهم ، وان شريف العلم لا يغني عن سفسافه ،  
فجعل يقول : كنت اصحب من الناس سراتهم ، واطلب من العلم  
شريفه ، فلما صار لي امر الناس احتجت الى ان اعلم سفساف العلم ،  
فتعلموا من العلم جيده وورديته وسفسافه .

واهتم عمر بنشر العلم فكتب الى اهله ان ينشروه في مساجدهم  
فان السنة كانت قد أميتت . وخطب ذات مرة فقال : ايها الناس ،  
انما يراد الطبيب الوجع الشديد ، الا فلا وجع اشد من الجهل ،  
ولا داء اخبث من الذنوب ، ولا خوف اخوف من الموت .<sup>٣٨١</sup>  
وكانت دفعة عظيمة في رسوخ اصول العلم حين خاف عمر  
غائلة النسيان فأوصى ان يقيد العلم بالكتابة مخافة الضياع ، ولذلك  
قيل انه اول من دون الحديث .

عالم الدنيا

وكما اهتم عمر بعلوم الدين اهتم بعلوم الدنيا ولا سيما الطب  
لحاجة الناس اليه في اول معاشهم . وليس يخفف عن الناس اعباء

( ٣٨٠ ) ابن عبد الحكم ص ١٣٧ ، ١٧٩

( ٣٨١ ) ابن الجوزي ص ٩٣-٩٤-٢٠٧-٢٣٩

الحياة لا اذا سعدوا بالعدل وتنوروا بالعلم في صحة ابدان وسلامة  
إيمان ، وكذلك كان عمر بن عبد العزيز اول من حارب فقر الناس  
وجاهلهم وأمر ارضهم ، وحاربها بقوة في مختلف بلاد المسلمين .  
وكان عبد الملك بن أبجر او ابن بجر الكناني طبيباً عالماً ماهراً ،  
وكان يتولى تدريس الطب بمدينة الاسكندرية ، وصحبه عمر في  
شبابه واستطبه . وقد تأثر ابن بجر بعمر فأسلم على يديه ، فلما صار  
عمر خليفة استعان صاحبه واعتمد عليه في تفريق علم الطب  
وتدريسه بانطاكية وحرّان وغيرهما من البلدان ، فانتقلت بذلك  
صناعة الطب اليوناني الى بلدان المسلمين وكانت لم تزل قوية زاهرة  
في الاسكندرية ٣٨٢

وقد أمر عمر باخراج كتاب في الطب ، أخرجه « ماسرجويه »  
الطبيب البصري الاسرائيلي ، أخرجه للناس وبثه في ايديهم ٣٨٣  
العلماء والمعلمين

وكرم عمر العلماء وبجث عنهم في كل موطن ، وجعلهم سنده  
واعوانه في مجلسه وعلى عماله وقضاته ، وارسل قوماً كثيراً منهم  
لنشر الاسلام والعلم ، وجعل لمن انقطع الى القرآن والحديث  
نصيباً من بيت المال ، وفرض لمن نصبوا انفسهم للفقه وحبسوها  
في المساجد عن طلب الدنيا - لكل منهم مائة دينار قبضاً عاجلاً ،  
وقد كتب الى والي حمص ليغني اهل القرآن والحديث فلا

( ٣٨٢ ) التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية ص ٦٤ - تاريخ العرب

المطول ص ٣٢٥

( ٣٨٣ ) فجر الاسلام ص ١٦٣

يشغون عنهما .

وأجرى عمر على المعلمين الأرزاق والأجور ، وكان فيمن أرسله لتعليم يزيد بن حبيب أرسله عمر إلى مصر قاضياً ومعلماً<sup>٣٨٤</sup> وفيمن أرسله لتفقيه البدو يزيد بن أبي مالك الدمشقي والحارث ابن بجد الأشعري ، وأجرى عليهما رزقاً ، فأما يزيد فقبل الأجر والرزق ، وأما الحارث فإبى أن يقبل على عمله أجراً ، وكتب إلى عمر ببأذه ، فكتب عمر : إنا لا نعلم بما صنع يزيد بأساً ، واكثر الله فينا مثل الحارث بن بجد .

وفتح الضحاك بن مزاحم في عهده كتاباً للتعليم دون أن يتقاضى على تعليم الناس أجراً .

وأشدق عمر على عماله وقضائه ومعلميه حين ضيق على نفسه وولده ، فدخل عليه ابن أبي زكريا فقال له : يا أمير المؤمنين ، اني أريد أن اكلمك بشيء ، قال : قل . قال : قد بلغني أنك توزق العامل من عمالك ثلثائه دينار ، قال : نعم ، قال : ولم ذلك ؟ قال : أردت أن اغنيهم عن الحياة ، فقال : فأنت يا أمير المؤمنين أولى بدال ؟ فأخرج عمر ذراعه من ثيابه وقال : يا ابن أبي زكريا ، ان هذا نبت من مال الفيء ، ولست معيداً اليه منه شيئاً أبداً . ولم يكن هذا غاية أجر العامل عنده ، بل كان يرتفع عن ذلك كثيراً حتى يبلغ ألف ألف درهم في العام<sup>٣٨٥</sup>

(٣٨٤) الطبقات ج ٦ ص ٢١٠ - تاريخ العرب المطول ص ٣٢٣

(٣٨٥) ابن الجوزي ص ٧٤ ، ٩٥ ، ١٠٣ - ابن عبد الحكم ص ٤٣ -

الكامل للبرد ج ١ ص ٢٦٨

## المعلم ومنهجا الدراسة

وكما عني عمر بتعليم اولاده اختار لهم المؤدب الصالح ، واختره بعد العلم به والثقة فيه ، ولم يدعه دون ان يزوده بنصحه ، ويثده برأيه وخبرته . وحين اختار سهلاً مولاه لتأديب ولده قائل له : اني اخترتك على علم مني لتأديب ولدي ، فصرفتهم إليك عن غيرك من موالي وذوي الخاصة بي .

ثم رسم له طريق التأديب ومنهجا الدراسة ، فطلب اليه ان يجفو في كلامهم حتى يكون ذلك أمعن لاقبالهم ، وطلب اليه ألا يصحبهم كثيراً لتظل له مكانته ، وطلب اليه ان ينهأهم عن كثرة الضحك حتى لا تموت قلوبهم ، وان يبعث إليهم الملاهي فان حضور المعازف واستماع الاغاني والالهي بها ينبت النفاق في القلب كما ينبت العشب الماء . وهو أمر حق فمتى استرسل الانسان للشهوة وانقاد للهوى ولم يؤدب نفسه كان في مسلاخ البهيمة ، وخرج به مزاجه عن الاعتدال وجمحت به نفسه الى أقبح مذهب واستوأ طريقة . ومن شأن المضحك ان يتطلب اموراً معدولة عن جهاتها ليستدعي بذلك تعجب السامع وضحكه ، وهو النفاق .

وأما منهجا الدراسة فقد طلب اليه ان يفتتحوا كل يوم بجزء من القرآن يتثبتون في قراءته ، ثم يتناولوا بقية العلم ، حتى اذا فرغوا تناولوا القسي والسهام وخرجوا الى الغرض حفاة فرموا به سبعة أرشاق وانصرفوا الى القيلولة ليستريحوا . ٣٨٦

وكان هذا منهجاً جيداً يجمع بينه على الدين والدنيا ، ويرواح بين البدن والروح والقول والعمل . وكان كلام عمر

( ٣٨٦ ) ابن الجوزي ص ٢٥٧

في الغناء والتهجج به كلام العليم الخبير .

واختار عمر المعلم لدينه وعلو نفسه ثم لفقته ورأيه وجوده و  
وكثرة معرفته ، ولم يفرق بين معلم عربي وآخر عجمي ، ولا من  
كان اصله حراً واصله عبداً . وقد صارت في بيته طبقة من مؤنزه  
كثير عددها وذاع فضلها ، فاختار منهم رجالاً الباء وارسلمهم  
لأقصى البلدان ، فاستوطن كثير منهم البلاد التي هجروا اليها ،  
وماتوا بها ، واعتقوا بها ذرية صارت من اهليها .

### الزكاة

لم تكن همة عمر بعد ردة المظالم الا القسمة في الناس ٣٨٧ . أما  
الأغنياء فحين رأوه مهتما بهذا القسمة فقد تسارعوا من انفسهم  
يؤدون الزكاة والصدقات ، وجاءوا العمال بتقطع كبيرة من  
أموالهم ليجعلوها في الفقراء حيث يرون . وزكاة الفطر التي هي  
في ضمانه الناس انفسهم تسارعوا بها كذلك .

ومنذ جاء الأغنياء بهذه الزكاة انفتحت في وجوهها من غير بطة ،  
فانه لا نفع من زكاة ما لم تصل الى ايدي الناس في حينها حتى  
يسدوا حاجاتهم وشيئكم . ولم يكن للعمال اذا تولوا قسما ان يبطلوا ،  
فاذا فعلوا اسرع اليهم عمر يحشهم على الاسراع . وقد جاء احد العمال  
في عيد فطر من هذه الزكاة شيء كثير فحبسها حتى يرى رأي عمر  
فيها ، فكتب اليه عمر يقول : لعمرى ، ما وجدوني واياك على ما  
ظنوا ! وما حبسك اياها الى اليوم ؟ فاخرجها حين تنظر في كتابي .  
والزم عمر العمال أن يأمروا من قبلتهم من الناس فلا يبقى  
أحد إلا أخرج عنه صدقة فطر رمضان ، لا يعفى منها حر ولا

( ٣٨٧ ) الخراج لابي يوسف ص ١٦

عبد ولا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا انثى ، مدّين من قمح او صاعاً من تمر أو قيمة ذلك نصف درهم - حسب رضاء الأسعار في مدته - فاما اهل العطاء ٣٨٨ فيؤخذ ذلك من اعطياتهم عن انفسهم وعماليتهم .

وكان يقوم على كل قوم من الأغنياء رجالان من اهل الامانة ينصبها العامل ، يقبضان ما اجتمع من الزكاة ثم يذهبان به فيقسمانه في مساكن اهل الحاضرة . اما البادية فكانت في غنى ولم يشع التمر في أهلها كما شاع في المدن التي ازدحم فيها الناس . وكثيراً ما كان يذهب العامل على الصدقات أو البلد الى احياء المدن والقرى ثم يأخذ من الأغنياء صدقاتهم ، ويجمع فقراء الحي ويقسم بينهم من فوره . وعادت هذه الشدة في اخراج الزكاة والسرعة في قسمها وجودة المراقبة - عاد كل اولئك على الناس بالغنى والميسرة ، بل استغنى كثير من الناس من أول قسم حدث فيه في مدة عمر بن عبد العزيز ، فعقدوا حين استغنوا ، وكان الفقير الواحد يصيب الفريضة والفريضتين والثلاث ، فما يفارق احد مكانه وهو فقير . حتى اذا جاء العام القادم ونودي على الفقراء لم يوجدوا .

حدث يحيى بن سعيد قال : بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات افريقية فاقتضيتها وطلبت فقراء نعطيها لهم فلم نجد بها فقيراً ، ولم نجد من يأخذها ، قد اغنى عمر الناس ، فاشتريت رقاباً فأعنتهم وولأؤهم للمسلمين .

(٣٨٨) اهل العطاء : الموظفون ومعنى ذلك ان زكاة فطرتهم تستقطع من

اجورهم .

وحدث رجل من ولد زيد بن الخطاب فقال : انه وني عمر بن عبد العزيز سنتين ونصفاً ، فذلك ثلاثون شهراً ، فما مات حتى جعل الرجل يأتينا بالمال العظيم فيقول : اجعلوا عذا حيث ترون في الفقراء فما يبرح حتى يرجع بماله ، يتذكر من يضعه فيهم فما يجده فيرجع بماله ، قد اغنى عمر بن عبد العزيز الناس (٣٨٩) . وقد اغنت زكاة الفطر وحدها فقراء المسلمين .

### الدعوة الى الاسلام

ولم يكن احب الى عمر من ان يعمم الاسلام بقاع الارض وان يبتدي به الناس ، مهما اصاب بيت المال من النقص والخسارة . وكان ملحاً يطلب الى عماله ان يدعوا اهل الذمة الى الاسلام فاذا اسلموا وشكا العمال اليه نضوب البيوت الاموال كتب اليهم يلومهم على الشكوى . وقد كتب الى عبد الحميد بن عبد الرحمن يقول له : كتبت اليّ تسألني عن اناس من اهل الحيرة يسلمون من اليهود والنصارى والمجوس وعليهم جزية عظيمة ، تستأذني في اخذ الجزية منهم ، وان الله جل ثناؤه بعث محمد داعياً ولم يبعثه جابياً ، فمن اسلم من اهل تلك الملل فعليه في مال الصدقة ، ولا جزية عليه ، وميراثه لذوي رحمه اذا كان منهم ، يتوارثون كما يتوارث اهل الاسلام ، وان لم يكن له وارث فميراثه في بيت مال المسلمين الذي يقسم بينهم ، وما احدث من حدث ففي مال الله الذي يقسم بين المسلمين يعقل عنه منه والسلام ٣٩٠

(٣٨٩) ابن الجوزي ص ٨٥ ، ٨٧ - ابن عبد الحكم ص ٦٩ ، ١٢٨

العقد القريني ج ٤ ص ٤٣٦

(٣٩٠) الخراج لأبي يوسف ص ١٣١

وكتب عدي بن أرطاة الى عمر : اما بعد فان الناس قد كثروا  
في الاسلام ، وخفت ان يقل الخراج . فكتب إليه : فهمت كتابك ،  
ووالله لو ددت ان الناس كلهم اسلموا حتى نكون انا وانت حراثين  
نأكل من كسب ايدينا .

وقد اخذ خراج مصر ينقص في عهده لأقبال القبط على الاسلام ،  
وكان خراجها في عهد عثمان اثني عشر ألف ألف دينار وفي عهد  
معاوية خمسة آلاف ألف ، ثم نقص في مدة عمر ، فاقترح واني مصر  
عليه الا يعفي الداخلين في الاسلام من المصريين من الجزية ، فأبى  
عمر وارسل إليه يقول له قولاته المشهورة : ان الله بعث محمدا هاديا  
ولم يبعثه جابيا .

انه لا جزية عنده على من اسلم من اهل الارض ، وما اجذب  
من العامر من الخراج يؤخذ في رفق وتسكين لاهل الأرض ٣٩١  
وارسل عمر عشرة من التابعين كأفراس الرهان ليفقهوا اهل  
افريقية ويعلموهم دينهم ويحثوهم على الجهاد في سبيل الله ، فاذا  
طلبهم الجهاد جاهدوا بانفسهم . فكل منهم مثل وقودة ، ويتولون  
مع ما وكل اليهم امور القضاء والفتوى ، وقد حملوا معهم الى المغرب  
علماء كثيراً .

وكان هناك جماعة من البربر اسلموا من قبل علي يد موسى بن  
نصير ، وتعلموا القرآن والفقهاء من العرب الذين كانوا مع موسى ،  
فالما تولى افريقية اسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر سنة مائة ،  
وكان على حربها وخراجها وصدقاتها ، وكان حسن السيرة فيهم

---

(٣٩١) ابن الجوزي ص ١٠٠ - الدعوة الى الاسلام ص ٩٣ - خراج

لأبي يوسف ص ٨٦

أسند البربر جميعاً ولم يبق أحد منهم الا أسلم ( ٣٩٢ )  
 امة العشرة الذين بعثهم عمر ليفقهوا البربر فقد أفهم من القبائل  
 حتى يكون لكل منهم صوت في ناحية من الناس . كان منهم  
 اثنان من معافر ، وواحد من تجيب ، ومن كل من مخزوم  
 وجذام وتنوخ وبني عبد الدار والانصار واحد ، ولم يكونوا  
 جميعاً من العرب ومن الاحرار ، وانما كان من الموالي واحد ومن  
 الفرس واحد . وأفهم عمر كذلك حتى يتفرقوا على جميع الناس ،  
 وقد نسل معظم هؤلاء من القبائل التي نزلت بصر في أول الفتح .  
 عبد الله بن يزيد وموهب بن حي من معافر ، وسعد بن مسعود  
 من تجيب . وابن أبي المهاجر القرشي من مخزوم ، وأبو ثمامة بكر  
 ابن سودة من جذام ، وأبو الجهم عبد الرحمن بن رافع من تنوخ ،  
 وامرئيل بن عبيد من الانصار . أما يمثل الموالي فكان حيان بن  
 أبي جبلة ، ويمثل الفرس فكان طلق بن جابان . وعاشرهم ابو  
 سعيد جعفل .

وقد هاجر إلى الله من هؤلاء هجرتين رجلان ، هاجرا إلى العلم  
 والتعليم ، فلما أديا ما عليهما حضرتها نية الجهاد فهاجرا إليه محاربين  
 فغرقا في البحر ، هما ابو ثمامة الجذامي وابن عبيد الانصاري . وكان  
 يسمى تاجر الله لكثرة ما حمل من علم وفقه وما فعل من  
 صدقة ومعرفة .

وكان سعد بن مسعود التجيبي معلم علماء لا تأخذه في الله

( ٣٩٢ ) فتوح مصر واخبارها ص ٢١٣ - ابن الانيرج ص ١٠ -

الدعوة إلى الاسلام ص ٢٦٦ ، ظهر الاسلام ج ١ ص ٢٩٣

ملاحة ، ولا تغشاه من مديك مهابة . ارسل اليه الريان بن عبد العزيز ذات مرة يدعوه الى داره من جامع الفسطاط فابى ان يذهب وقال لرسول الريان : ليس لي اليه حاجة فأتي له ، فإن تك له حاجة فنيأت بها . وبلغ ذلك الريان فجاءه مغضباً فلما عاتبه قال له : أصلح الله الأمير ! دعوتني الى ما يشينني ودعوتك الى ما يزينك ! فقال له : فكيف ذلك ؟ قال : إنه من رآك ماشياً الى مدحك وقال ذلك طالب علم وخير ، ومن رآني ماشياً اليك رآني طالباً حطاماً وعرضاً من أعراض الدنيا فشانني ! فقال الريان : سلّيت والله ما كان بقلبي ونورته ، نور الله قلبك وعلمك ٣٩٣

وكان حتماً مقضياً ان تدخل افواج من الناس في دين الغزاة الفاتحين متى عاملوا الناس بالحسنى ، وكذلك استجاب كثير من امراء السند لدعوة عمر حين دعاهم الى اعتناق الاسلام وتسموا باسماء العرب ٣٩٤ ، واسلم ملك الهند نفسه سنة تسع وتسعين ، وأهدى الى عمر هدية من المسك والعنبر والندّ والكافور ٣٩٥ . وفيما وراء نهر السند دان كثير من الناس بالاسلام تلبيةً لدعوة عمر . واجتهد الجراح بن عبد الله الحكمي والي خراسان في الدعوة واخاص لها فأقبل على الاسلام نحو من اربعة آلاف . ثم كتب اليه عمر : انظر من صلى قبلك فضع عنه الجزية ، فسارع الناس

(٣٩٣) رياض النفوس ج ١ ص ٦٤ - ٦٨

(٣٩٤) تاريخ الامم الاسلامية ج ٢ ص ١٨٧ - الدعوة الى الاسلام ص

(٣٩٥) النجوم الزاهرة ج ١ ص ٢٤٠

الى الاسلام ٣٩٦ . وبلغت الرغبة من عمر في الدعوة ان أرسن الى  
«لاون الثالث» ملك الروم يدعو الى الاسلام .



وكانما عاد في مدته حق المؤلفه قلوبهم بعد ان منعه عمر بن الخطاب ، فكان ذلك سبباً الى الاقبال على الدين في حركة منظمة ملؤها الحماسة في نشر الدعوة وقبولها . ورأت الشعوب المختلفة من الخليفة وعمله ضرورياً من الاغراء والتجيب ، حتى إن عمر لم يأل جهده في الهبات لتأليف القلوب حتى انهم ليقولون إنه أعطى بطريقاً نصرانياً يتألفه بالعطاء الف دينار .

ومع أن المسلمين حديثاً لم يكونوا يعفون من ضريبة العشر فقد لقي عمر بن عبد العزيز نجاحاً رائعا في اتمام ما قام به جده عمر ابن الخطاب ، فبادرت جموع هائلة الى الدخول في زمرة المسلمين ٣٩٧ . وكان الاعفاء من الجزية وابقاء الارض في يد اهل الامة ومعاملتهم بالحسنى - كل اولئك كانت عوامل دافعة الى الدخول في دين الله افواجاً ٣٩٨ .

واستطرد بما عمل عمر اتساع رقعة الارض التي ينتشر فيها الاسلام ، واستمر الصلاح يتسرب الى الامة الاسلامية ، واتخذ العلم الديني والديني سبيله الى الانتشار وسلمته الى الارتقاء . وسلمت الامة من داخلها واستعدت نواتها للبقاء اذا لم ترو من ظمأ وتنتعش في نور ، ولارقي والنماء إذا خصب لها الزمان وعمت العدالة وانطلقت انفاس الحرية وأشعة الضياء .

( ٣٩٦ ) ابن الاثير ج ٥ ص ٢٤

( ٣٩٧ ) الدعوة الى الاسلام ص ٧٦ .

( ٣٩٨ ) تاريخ العرب المطول ٢٧٥